



الجزء الثالث

النبي الملك



بقلم: ١٠ عبد الحميد عبد القصور
رسوم: ١١ عبد الشافي سيد
إشراف: ١٢ حمدي مصطفى



تَوَلَّى دَاوُدُ ﷺ مَلِكُ بَنِي إِسْرَائِيلَ ، بَعْدَ وَفَاةِ
طَالُوتَ .. اخْتَارَهُ الشَّعْبُ الَّذِي أَحْبَبَهُ وَاحْتَرَمَهُ ، بَعْدَ
أَنْ قَتَلَ عَدُوَّهُ جَالُوتَ ..
آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَجَعَلَهُ نَبِيًّا ، وَعَلَّمَهُ الْحِكْمَةَ ، كَمَا
آتَاهُ مِنْ عِلْمِهِ مَا شَاءَ أَنْ يَعْلَمَهُ مَبْحَاثَهُ ..

وهكذا جمع داود عليه السلام بين الملك والنبوة ..

فهو الملك النبي ، أو النبي الملك ..

وقبل داود عليه السلام كان الملك في سبط والنبوة في

سبط آخر ، فجمع الله - تعالى - له بين خيرى

الدنيا والآخرة ..

وقد سخر الله - تعالى - لعبده ونبيه داود عليه السلام

عدداً من النعم ..

من هذه النعم أن الله - تعالى - سخر الجبال

والطيور لتسبح معه ..

وقد كان نبي الله داود عليه السلام تقياً حسن الصوت ..

وآتاه الله - تعالى - الزبور ، وهو كتاب مقدس

كالعزراة ..

فكان داود عليه السلام إذا قرأ من كتابه مُرتلاً

بصوته الجميل رددت معه الجبال والطيور

تسبيحه لله - تعالى - ..

قال تعالى :

﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ مِنَّا فَضْلًا يَا جِبَالُ أَوْبَىٰ مَعَهُ

[الآية ١٠ من سورة سبأ]

وَالطَّيْرُ ﴾

وقال تعالى :

﴿ وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُدَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ وَكُنَّا

[الآية ٧٩ من سورة الأنبياء]

فَاعِلِينَ ﴾

وقال تعالى :

﴿ وَاذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُدَ ذَا الْأَيْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ * إِنَّا سَخَّرْنَا

الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِشْرَاقِ * وَالطَّيْرَ

مَحْشُورَةً كُلٌّ لَهُ أَوَّابٌ * وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ وَأَتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ

[الآيات ١٧ - ٢٠ من سورة ص]

وَفَصَّلَ الْخُطَابَ ﴾

والمقصود بالأيدي هنا هو القوة في طاعة الله - تعالى - ،

فقد كان داود عليه السلام ذا قوة في العبادة لله - تعالى - ،

والعمل الصالح ..

كان داود عليه السلام يقوم الليل متعبدا لله - تعالى - ،

وكان يصوم نصف العام .. أى أنه كان يصوم يوماً ، ويفطر يوماً ، فهُوَ بِذَلِكَ يصوم نصف العام .. يصف رسولنا محمد ﷺ عبادة النبی داود عليه السلام فيقول :

« أَحَبُّ الصَّلَاةِ إِلَى اللَّهِ صَلَاةُ دَاوُدَ ، وَأَحَبُّ الصَّيَامِ إِلَى اللَّهِ صِيَامُ دَاوُدَ ، كَانَ يَتِمُّ نَصْفَ اللَّيْلِ وَيَقُومُ ثُلُثَهُ ، وَيَنَامُ سُدُسَهُ ، وَكَانَ يَصُومُ يَوْمًا وَيُفْطِرُ يَوْمًا ، وَلَا يَفِرُّ إِذَا لَاقَى »

أى لا يفرُّ مِنْ مِيدَانِ المَعْرَكَةِ إِذَا لَاقَى الأَعْدَاءَ ، وَإِنَّمَا يَثْبُتُ لِلْقَائِمِهِمْ ..

وقد وهب الله نبيه داود عليه السلام الصوت العظيم الحسن ، ما لم يعطه أحداً ، فقد كان إذا ترنم بقراءة الزبور ، يقف الطير فى الهواء يرددُّ صوته ، ويسبح بتسبيحه .. وكذلك كانت الجبال تردّدُ صوته وتسبح معه كلما سبّح بكرة وعشياً ، أى عند أول النهار ، وفى آخره ..

وَمَا يُرَوَّى عَنْ حُسْنِ صَوْتِ دَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَحُسْنِ
تَرْتِيلِهِ ، وَخُشُوعِهِ لِلَّهِ - تَعَالَى - ، أَنَّهُ كَانَ إِذَا رَتَّلَ ،
تَجَمَّعَتْ حَوْلَهُ الطَّيْرُ وَالرُّحُوشُ ، فَيَمُضِي الْوَقْتُ بِهَا
دُونَ أَنْ تَشْعُرَ بِهِ ، حَتَّى إِنْ بَعْضُهَا كَانَ يَكَادُ يَمُوتُ
عَطْشًا وَجُوعًا ، وَهِيَ لَا تَشْعُرُ بِذَلِكَ ..

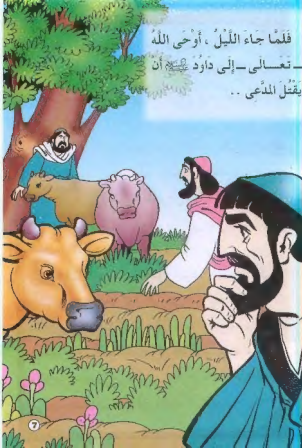
وَكَانَتِ الْجِنُّ وَالْإِنْسُ تَنْصِتُ لَهُ بِخُشُوعٍ مِنْ شِدَّةِ
خُشُوعِهِ لِلَّهِ - تَعَالَى - ..

وَكَانَ دَاوُدُ عَلَيْهِ السَّلَامُ مَعَ صَوْتِهِ وَتَسْبِيحِهِ سَرِيعَ الْقِرَاءَةِ
لِلزَّبُورِ .. وَالزَّبُورُ كِتَابُ سَمَاوِي يُحْتَوِي عَلَى الْحُكْمِ
وَالْمَوَاعِظِ ..

وَقَدْ أُعْطِيَ اللَّهُ - تَعَالَى - عَبْدَهُ وَنَبِيَّهُ دَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلَامُ
مُلْكًا عَظِيمًا ، وَحُكْمًا نَافِذًا ..

جَاءَ رَجُلَانِ إِلَى دَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَادَّعَى أَحَدُهُمَا عَلَى
الْآخَرِ ، أَنَّهُ اغْتَصَبَ مِنْهُ بَقْرًا ، فَأَنْكَرَ الْمُدَّعَى عَلَيْهِ أَنَّهُ
اغْتَصَبَ مِنْهُ بَقْرَهُ ، وَتَحَاكَمَا إِلَى دَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي أَمْرِ
الْبَقْرِ ، فَأَجَلَ دَاوُدُ النَّظْرَ فِي أَمْرِهِمَا إِلَى اللَّيْلِ ..

فَلَمَّا جَاءَ اللَّيْلُ ، أَوْحَى اللَّهُ
— تَعَالَى — إِلَى دَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَنْ
يَقْتُلَ الْمُدْعَى ..



فَلَمَّا أَصْبَحَ الصَّبْحُ ، قَالَ دَاوُدُ ﷺ لِلْمُدْعَى :

- إِنَّ اللَّهَ قَدْ أَوْحَى إِلَيَّ أَنْ أَقْتُلَكَ ، فَأَنَا قَاتِلُكَ لَا مُحَالَةَ ،

فَمَا خَبْرُكَ فِيمَا ادَّعَيْتَهُ عَلَيَّ هَذَا الرَّجُلُ مِنْ سَرَقَةِ بَقْرِكَ ؟

فَقَالَ الرَّجُلُ :

- يَا نَبِيَّ اللَّهِ ، إِنِّي لَمُحِقٌ فِيمَا ادَّعَيْتَ عَلَيْهِ مِنْ سَرَقَةِ

بَقْرِي ، وَلَكِنِّي كُنْتُ قَدْ قَتَلْتُ أَبَاهُ قَبْلَ ذَلِكَ ..

فَأَمَرَ دَاوُدُ ﷺ بِقَتْلِ هَذَا الرَّجُلِ قِصَاصًا عَادِلًا لِقَتْلِهِ أَبَاهُ

الرَّجُلِ ، فَعَظَّمَ أَمْرَ دَاوُدَ ﷺ فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ ،

وَخَضَعُوا لَهُ خُضُوعًا عَظِيمًا ..

وَقَدْ قَالَ الْمَفْسُورُونَ وَالْمُؤْرَخُونَ : إِنَّهُ لَمَّا كَثُرَتْ

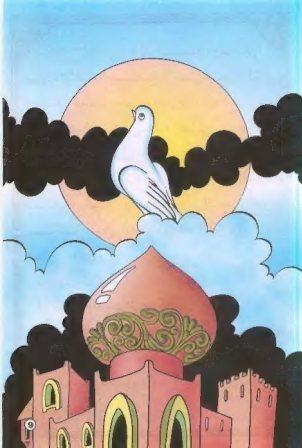
الشُّرُورُ وَشَهَادَاتُ الزُّورِ فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ ، أَعْطَى اللَّهُ

- تَعَالَى - دَاوُدَ ﷺ سِلْسِلَةً لِفَصْلِ الْقِضَاءِ ، فَكَانَتْ

مَمْدُودَةً مِنَ السَّمَاءِ إِلَى صَخْرَةٍ فِي بَيْتِ الْمَقْدِسِ ،

وَكَانَتْ سِلْسِلَةً مِنْ ذَهَبٍ ، فَإِذَا تَشَاجَرَ الرَّجُلَانِ فِي

حَقٍّ ، وَجَاءَا إِلَى دَاوُدَ ، فَأَيُّ الرَّجُلَيْنِ كَانَ مُحِقًّا



استطاع أن يصل بيده إلى السلسلة ، ويمسكها ،
بينما الآخر لا يستطيع أن يصل إليها ولم تزل
السلسلة كذلك ، حتى أودع رجل رجلاً آخر لؤلؤة ،
على سبيل الأمانة ، فلما عاد ليطلبها منه جردها ،
وأنكرها منه .. ثم أودع اللؤلؤة في عكازة ، فلما
حضرنا عند الصخرة استطاع صاحب اللؤلؤة أن
يمسك السلسلة ، فلما طلبوا من الرجل الآخر أن
يمسكها ، أعطى العكاز لصاحب اللؤلؤة ، وفيه
اللؤلؤة ، وقال :

— اللَّهُمَّ إِنَّكَ تَعْلَمُ أَنِّي أَعَدْتُهَا إِلَيْهِ ..

ثُمَّ مَدَّ يَدَهُ فَأَمْسَكَ السَّلْسِلَةَ .

فوقع بنو إسرائيل في الشك والحيرة ، واحتفظ
عليهم الأمر ، لأن كلاً من الرجلين استطاع أن
يمسك السلسلة ، ويقال إن السلسلة رفعت سريعاً
من بينهم ..

ومن نعم الله - تعالى - على عبده وبيّه داود
عليه السلام أنه ألان له الحديد .. قال الله - تعالى - في قرآنه
المجيد .

﴿وَأَلْنَا لَهُ الْحَدِيدَ أَنْ أَعْمَلَ سَاعَاتٍ وَقَدَرٍ فِي
السُّرُورِ وَأَعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ بصيرٌ﴾

[الآية ١٠ من سورة مئآ]

قال بعض المفسرين : إن الله - تعالى - قد جعل
الحديد في يد داود عليه السلام سهلاً ليناً كالشمع
يشكله كيف يشاء ، يدون تسحين أو صهر أو
طرق بالمطارق . وأمره الله - تعالى - أن يستغل
هذه الميزة في صناعة مفيدة ، وهي صناعة الدروع ،
كي ينسها الجنود ، ويخرجوا للعرش في سبيل الله
- تعالى - وقتال أعدائه ..

وقد كانت الدروع قبل داود عليه السلام تصنع من صفائح
من الحديد ، وكانت ثقيلة جداً تعوق المحارب

عن أداء عمه بكفاءة لأنها تُقيد حرّكته . كما
أنها لم تكن تقي لابسها من ضربات السيوف
والحراب والفتوس ..

أما الدروع التي صنعها داود عليه السلام فقد كانت حفيظة
ومثبة . لأنه كان ينسجها من حلقات من الحديد .
يقوم بتشكيلها بيده . مستعلاً ميزة لانة الحديد بين
يديه .. وقد كانت الدروع المسرودة (أي التي تُنسخ
من حلقات يركب بعضها هي بعض) والتي كان داود
عليه السلام يصنعها أحف ورّبا . وأكثر قوة ومتانة . فلا تُؤثر
فيها ضربات الأسلحة . كما أنها كانت تمكن
لابسها من حرية الحركة في ميدان القتال ..

وقد كان نبي الله داود عليه السلام يأكل من عمل يده .
مرغم أنه كان نبيا . وملكا على مملكة بني إسرائيل ..
وقد كان عمله هو صاعة الدروع . فكان يصنع في كلّ
يوم درعا . ويبيعه فيما كل منه هو وأهله ..

وَقَدْ كَانَتْ صِنَاعَةُ الدَّرُوعِ الْخَفِيفَةِ الْمُتِينَةِ عَلَى يَدِ دَاوُدَ
عَلَيْهِ السَّلَامُ وَتَسْلِيحُهُ الْجَيْشَ بِهَا سَيًّا فِي قُوَّةِ جَيْشِ دَاوُدَ عَلَيْهِ



فَلَمْ يَدْخُلْ دَاوُدُ ﷺ مَعْرَكَةً وَخَسِرَهَا ، وَكَانَ ذَلِكَ يَجْعَلُ أَعْدَاءَهُ يَهَابُونَهُ .. وَلَمْ يَكُنْ دَاوُدُ ﷺ يُحَارِبُ ظُلْمًا وَعُدْوَانًا ، وَإِنَّمَا كَانَ يَغْزُو فِي سَبِيلِ اللَّهِ - تَعَالَى - ، مِنْ أَجْلِ نَشْرِ دِينِ اللَّهِ فِي الْأَرْضِ .. وَهَذَا هُوَ حَالُ الْأَنْبِيَاءِ وَالرُّسُلِ فِي كُلِّ زَمَانٍ وَمَكَانٍ .. وَقَدْ أَتَى اللَّهُ - تَعَالَى - عَلَى عَبْدِهِ وَنَبِيِّهِ دَاوُدَ ﷺ ، فَقَالَ :

﴿ وَإِنَّ لَهُ عِنْدَنَا لَزُلْفَى وَحُسْنَ مَآبٍ ﴾

[الْآيَةُ ٢٥ سُورَةِ ص]

أَيُّ أَنَّ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ قُرْبَى يُقَرِّبُهُ اللَّهُ - تَعَالَى - بِهَا مِنْ عَرْشِهِ ، وَيَفِيضُ عَلَيْهِ بِهَا مِنْ رَحْمَتِهِ وَبَرَكَاتِهِ .. وَقَدْ قَالَ بَعْضُ الْمَفْسِّرِينَ لِهَذِهِ الْآيَةِ : إِنَّ دَاوُدَ ﷺ يَقُومُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِنْدَ سَاقِ الْعَرْشِ ، فَيَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ :

- يَا دَاوُدُ مَجْدُنِي الْيَوْمَ بِذَلِكَ الصَّوْتِ الْحَسَنِ الرَّخِيمِ ، الَّذِي كُنْتَ تُمَجِّدُنِي بِهِ فِي الدُّنْيَا ،

فَيَقُولُ دَاوُدُ :

- كَيْفَ يَا رَبُّ ، وَقَدْ سَلَبْتَهُ ۱۲

فَيَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ :

- « إِنِّي أَرَدْتُ عَلَيْكَ الْيَوْمَ ،

فَمَرَّتِغ دَاوُدُ ۱۳ بِصَوْتِهِ مُمَجِّدًا اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ ..

وَقَدْ قَالَ دَاوُدُ ۱۴ مُخَاطِبًا اللَّهَ - تَعَالَى - ذَاتَ يَوْمٍ :

- يَا رَبُّ ، كَيْفَ لِي أَنْ أَشْكُرَكَ ؟ ! أَنَا لَا أَصِلُ إِلَى

شُكْرِكَ إِلَّا بِعَمَلِكَ ..

فَأَتَاهُ الْوَحْيُ :

- « يَا دَاوُدُ أَلَسْتَ تَعْلَمُ أَنَّ الَّذِي بِكَ مِنَ النِّعَمِ مِنِّي ؟ ! »

فَقَالَ دَاوُدُ :

- بَلَى يَا رَبُّ ..

فَخَاطَبَهُ اللَّهُ - تَعَالَى - قَائِلًا :

- « فَإِنِّي أَرْضِي بِذَلِكَ مِنْكَ » ..

(تَمَّتْ)

